جاعل قطر مصر مطمح عين ما رأت نيلهُ ولا أهرامه
ان في مصر للعقول محالاً واسمًا تشتهي الرجال اقتحامه
ليس في شرقنا كمصر بلاد نشر العدل فوقها اعلامه
ومن اختارها مقامًا فكانت مصرهُ مصرُ ليس يبكي شآمه

تتولا رزق الله

فتح مصر

حسب رواية يحيى النحوي

ذكرنا في الجزءين الاخيرين من المقتطف شيئًا عن يوحنا اسقف نقيوس المعروف عند بعض كتاب العرب بيحيى النحوي صاحب التاريخ المشهور ووعدنا القراء بنقل ما جاء في تاريخهِ عن فتح القطر المصري وقد رأينا ان نذكر اولاً شيئًا عنهُ وعن تاريخهِ فنقول

لا يُعرف عن يوحنا اسقف نقيوس الاَّ النزر اليسير مما ورد ذكرهُ عرضًا في تاريخ بطاركة الاسكندرية لساويرس بن المقفع اسقف الاشمونين الذي نشأ في القرن العاشر المسيحي فقد قال في كلامهِ على البطريرك يوحنا السمنودي ما نصهُ « فلما وصل الى الاسكندرية (اي البطريرك) وبلغ اهل الاسكندرية انهُ متوعكٌ فدخلوا عليهِ وكان معهم اغريغوريوس اسقف القيس ويوحنا اسقف نقيوس ويعقوب اسقف اوراط ويوحنا اسقف سخا وكانوا كلهم حزاقى لما رأوا راعيهم يدعى الى السماء » . ثم ذكر انهُ بعد وفاة البطريرك يوحنا هذا اجتمع الاساقفة وبينهم يوحنا اسقف نقيوس واختبروا الشماس جرجه خلفًا لهُ لكن الامير عبد العزيز بن مروان امرهم باختيار احدٍ من اهل شبرا فانتخبوهُ . ويلي ذلك تفصيل ما حدث

وذكر ساويرس ابن المقفع ايضًا ان البطريرك سمعان وهو الثاني والاربعون من بطاركة الاسكندرية عهد الى الانبا يوحنا اسقف نقيوس بتدبير امر الديارات في مصر وحدث بعد ذلك ان راهبًا ارتكب جريمة فضربهُ الانبا يوحنا ضربًا مبرحًا افضى الى موتهِ فاجتمع الاساقفة وقطعوهُ وكان ذلك في ايام البطريرك سمعان

وورد ايضًا ذكر الانبا يوحنا اسقف نقيوس في كتاب قديم في تاريخ البطاركة ذكرت فيهِ رواية ذلك الراهب مختلفة بعض الاختلاف عما جاء في تاريخ ابن المقفع والكتابان متفقان على ان الحادثة جرت في ايام البطريرك سمعان الذي توفي حسب روايتهما سنة ٤١٦ للشهداء

الموافقة لسنة ٧٠٠ للمسيح وحسب رواية غيرها انهُ توفي سنة ٦٨٦ للمسيح

وجاء في تاريخ البطريرك اسحق لينا اسقف ابشادي اي نقيوس وهو خليفة يوحنا ما نصهُ « وفيهم يوانس اسقف ابشاتي (اي نقيوس) الذي صار مدبراً »

هذا ما وقفنا عليهِ من اخبار يوحنا النقوي اسقف نقيوس لخصناهُ من رسالة كتب بها الينا جرجس افندي فيلوثاوس عوض من ادباء الاقباط المدققين في التاريخ ومن مقدمة زوتنبرج الذي نقل تاريخ يوحنا النقوي من الحبشية الى الفرنسوية

اما تاريخهُ فقد كتب بعضهُ باليونانية و بعضهُ بالقبطية ثم نقل الى العربية منذ عهد بعيد لان كثيرين من مورخي العرب كابن التديم وغيرهِ ذكروهُ ونقلوا عنهُ مما يدل على انهُ كان موجوداً بالعربية في ايامهم . وقد فقد الاصل اليوناني والقبطي منذ زمن بعيد على ان الترجمة العربية كانت باقية الى سنة ١٦٠٢ مسيحية كما يظهر من النسخة الحبشية المنقولة عنها فقد جاء في خاتمتها انها نقلت سنة ١٣١٨ للشهداء الموافقة لسنة ١٦٠٢ للمسيح وان ناقلها رجل حبشي فقد اسمهُ وراهب قبطي اسمهُ غبريال

فواضح من ذلك ان يوحنا النقوي هذا كتب تاريخهُ بعد الفتح بنحو اربعين سنة والمظنون انهُ كان فتيّ او ولداً في زمن الفتح ولا شبهة ان تاريخهُ اقدم تاريخ وصل الينا عن فتح مصر

وقد بحث كثيرون عن الترجمة العربية لهذا التاريخ فلم يعثروا عليها ويقال ان سيفي متحف برلين كتابة قديمة في ست اوراق يظن انها جزء من هذه الترجمة . وذكر المسيو اميلينو في حاشيةٍ لهُ على تاريخ البطريرك اسحق ما يفهم منهُ انهُ عثر على الترجمة العربية فكتب اليهِ الدكتور بطلر مؤلف تاريخ فتح مصر يسألهُ عنها فاجابهُ انها في اطباق احدى المديريات في مصر ولم يزد على ذلك . على انهُ يرجى العثور على نسخة عربية في بلاد الحبشة لانها كانت موجودة هناك منذ ثلاثمئة سنة

اما الترجمة الحبشية فيعرف منها نسختان احداها في مكتبة باريس والاخرى في المتحف البريطاني وقد نقل زوتنبرج عنهما ترجمتهُ الفرنسوية وهي التي نقلناها الى العربية . والترجمة الحبشية ناقصة جدًّا ومرتبكة في كثير من المواضع وفيها تقديم وتأخير في الحوادث ولا تطبق فصولها على فهرستها ففي الفهرست حوادث لم تذكر في الفصول فعرّبناها كما هي ولم نتصرف الاَّ بحذف بعض جمل لا علاقة لها بالتاريخ ولا بحسن نشرها

والتاريخ يبتدئ من الخلق ويتدرّج الى غزوة الفرس فمجيء العرب وظهورهم في كورة الفيوم وهناك الفصول التي ترجمناها منهُ

الفصل المئة والحادي عشر

اما ثيودورس القائد العام في مصر فانهُ لما علم من الرسل الذين انفذهم ثيودوسيوس عامل اركاديا [1] ان يوحنا قائد الجيش الوطني [2] قد قتل عاد بجنود مصر وما معهُ من المدد وقفل راجعاً الى جزيرة فيلون لئلا يستولي العرب [3] على ساحلها بعد خروج اهلها على الحكومة ويطردوا منها جماعة الرب الذين بقوا على ولاء الروم . وكان الحزن شديداً (على يوحنا) اشد من حزن داود على شاول حينما قال «كيف سقطت الجبابرة وبادت الآلات الحرب» لان يوحنا قائد الجيش الوطني لم يقتل وحدهُ بل قتل يوحنا الرومي ايضاً وقتل معهُ خمسون فارساً . وسأذكر بالايجاز الآن ما اصاب اهالي الفيوم قبل هذه الحوادث

فان يوحنا ورفاقهُ المقاتلين الذين مرَّ ذكرهم والذين عهد اليهم الروم بالدفاع عن كورة الفيوم اقاموا حرّاساً قرب حجر اللاهون [4] ليراقبوا الاعداء ويخبروا قائد الجيش الوطني بحركتهم ثم اخذوا بعض الخيول وشرذمة من الجند ورماة القسي وزحفوا على العرب يريدون صدهم لكن العرب كانوا قد توجهوا الى ناحية الصحراء واستاقوا من الجبال كثيراً من الضأن والماعز على غفلة من المصريين ثم ظهروا امام البهنسا [5] فاسرعت الجنود التي كانت مع يوحنا على ضفاف النهر ومنعتهم هذه المرة من دخول الفيوم

اما القائد ثيودوسيوس فانهُ لما سمع بقدوم العرب اخذ ينتقل من مكان الى آخر ليطلع على حركاتهم لكن العرب جاءوا وقتلوا قائد (البهنسا) ومن معهُ واستولوا على المدينة ووضعوا السيف في رقاب كل من لقوهُ ولم يستبقوا احداً لا من الشيوخ ولا من النساء والاطفال . ثم ارتدّوا على القائد يوحنا فامتطى هو ورفاقهُ خيولهم واخذوا في البساتين والزرع ثم ساروا ليلاً ووجوههم النيل الاعظم في ناحية ابويط [6] حيث ظنوا انهم يكونون في مأمن على حياتهم لكن كل شيء يجري بمشيئة الله فان زعيم العصابات [7] دلَّ العرب على المكان الذي اختبأوا فيهِ فلحقوا بهم وذبحوهم . فلما اتصل هذا الخبر بالقائد ثيودوسيوس وبانتاس وكانا في

---

(١) من امراء الفيوم (٢) كان في مصر جيش جنودهُ من الوطنيين ولا يعلم هل كان هؤلاء الجنود من الاقباط او من الروم نزلاء مصر او منهما كليهما (٣) يسميهم المترجم الفرنسوي تارة اسماعيليين وتارة مسلمين ولا نعلم الاسم الذي كان المؤلف يسميهم به ولكننا نظن انهُ كان يسميهم عرباً وقد اخترنا هذا الاسم لانهُ اول على المراد (٤) اللاهون على بحر يوسف ويبعد نحو عشرة اميال عن الفيوم (٥) هذه البهنسا من مدن الفيوم في ذلك الزمن وليست هي البهنسا المعروفة بهذا الاسم في ايامنا فتلك في مديرية المنيا (٦) ابويط في مديرية بني سويف وليست ابويط او بوط التي في مديرية اسيوط (٧) لا يعلم من هو زعيم العصابات هذا وبعض بعضهم انهُ من البدو الذين كانوا في مصر قبل الفتح

مكان يبعد اثني عشر ميلاً عن مدينة تفيوس اسرعا الى حصن بابليون[1] واقاما فيه وارسلا القائد ليونتيوس الى ابو يط وكان ليونتيوس هذا شجاعاً بليداً يجهل فنون الحرب فلما رأى الجيش وعليه ثيودورس يقاتل العرب وكثيراً ما يخرج من مدينة الفيوم لاسترجاع البهنسا عاد الى بابليون بنصف الجنود التي معهُ ليشرح واقعة الحال للعاملين (اي ثيودوسيوس وانستاسيوس) وابقى النصف الاخر مع ثيودورس

وعثر ثيودورس بعد عناء كبير على جثة يوحنا في النهر فانتشلها بشبكة ووضعها في تابوت وارسلها الى العاملين فبعثا بها الى هرقل[2]

والتجأ الروم الذين في بلاد مصر الى حصن بابليون منتظرين قدوم القائد ثيودورس ليخرجوا الى قتال العرب بجنودهم كلها قبل الفيضان والزرع لان تأخير القتال قد يتلف الزرع فيصير الناس عرضة للموت جوعاً هم واولادهم ومواشيهم

الفصل المئة والثاني عشر

وكانت العداوة شديدة يومئذٍ بين العاملين وبين القائد ثيودورس بسبب تغير خاطر القيصر عليه . وركب ثيودوسيوس وانستاسيوس ومعهما جيش كبير من المشاة وزحفا على أون[3] لقتال عمرو بن العاص . ولم يكن العرب قد رأوا مدينة مصر من قبل فكانوا يسيرون مبتعدين عن المدن الحصينة متجهين الى بلدة تسمى تندونياس[4] فعبروا النيل هناك . واظهر عمرو في استيلائه على مدينة مصر همة فائقة وحذقاً كبيراً وقد كان خائفاً من انفصاله عن جيش العرب الذي كان قادماً اليه على الجانب الشرقي من النيل ووجهتهُ مدينة واقعة على مرتفع من الارض تدعى عين شمس او أون . فان عمراً كان قد ارسل الى عمر بن الخطاب وهو في فلسطين كتاباً قال لهُ فيه «انك اذا لم ترسل اليَّ امداداً لا يمكنني الاستيلاء على مصر» فامدهُ عمر باربعة الاف مقاتل عليهم امير من البربر اسمهُ ولواريا[5]. ولما وصل المدد الى

---

(١) هو الحصن الذي مر وصفه في العدد الماضي من المقتطف

(٢) يظهر ان يوحنا هذا كان رجلاً من ذوي الشان و يظن بعضهم انه يوحنا دوق برقة

(٣) هي عين شمس او المطرية فقد كان اسمها في تلك الايام اون وقد ورد ذكرها في التوراة بهذا الاسم وكان يسميها اليونان هليوبوليس اي مدينة الشمس فسماها العرب عين شمس

(٤) هي ام دنين او المقس التي مرّ وصفها في العدد الماضي من المقتطف

(٥) لا ريب ان هذا الاسم محرّف وكان على الجيش الذي ارسله الامام عمر اربعة من الامراء وهم الزبير ابن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمة بن المخلد وقيل خارجة بن حذافة . وكان عبادة بن الصامت اسود ولعل المؤلف يشير اليه

عمرو قسم جيشهُ الى ثلاث فرق جعل فرقة منها قرب تندونياس وفرقة الى الشمال من بابليون ونزل هو بالفرقة الثالثة على مدينة اون وقال لرجال الفرقتين الاخريين كونوا على حذر فاذا خرج الروم للقائنا وصرنا واياهم وجهاً لوجه اخرجوا عليهم من وراثهم فتحدق بهم وتفنيهم . فخرج الروم من الحصن لقتال العرب وهم لا يعلمون ما دُبّر لهم فخرج العرب من وراثهم واشتد القتال بين الفريقين وضيق العرب على الروم فدارت الدائرة على الروم فانهزموا المراكب منهزمين واستولى العرب على تندونياس وكانت حامیتها قد فنيت ولم يبقَ منها غير ٣٠٠ رجل التجأوا الى الحصن ثم لما رأوا كثرة القتل خافوا وهربوا في المراكب الى تقيوس والحزن ملأ قلوبهم

ولما علم دومنتيانوس عامل القيوم بهذه الحوادث خرج منها ليلاً دون ان يخبر اهالي ابوبط انهُ عزم على ترك المدينة للعرب وسافر بحراً الى تقيوس . فلما سمع العرب بفراره اسرعوا الى كورة القيوم وابوبط واستولوا عليها وانتخوا في اعمالها

الفصل المئة والثالث عشر

وبعد ان استولى العرب على مدينة القيوم وكورتها طلب عمرو من اباقيرس الدلاصي[1] ان يرسل مراكب الريف لنقل العرب الذين على الجانب الغربي من النيل الى الجانب الشرقي وجمع جنوده كلها يريد ان يغير بها على البلاد وامر جرجس عامل كورة مصر ان يبني جسراً على خليج قليوب حتى يتمكن من فتح القرى التابعة لكورة مصر وعلى مدينتي فرديس واثريب وكان الناس يعاونون العرب فاستولوا على اثريب ومنوف وكورتهما . واقام عمرو جسراً عظيماً قرب بابليون لمنع السفن من السير الى تقيوس والاسكندرية والصعيد ولسهولة عبور الخيل من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي من النيل

وهكذا استولى عمرو على كورة مصر كلها لكنهُ لم يقف عند هذا الحد بل اعتقل الحكام من الروم ووضع ارجلهم وايديهم في القيود والمقاطر وابتزّ الاموال وضاعف الخراج على الفلاحين وارغمهم على تقديم العلف للخيل وبالغ في الشدة

اما العاملان اللذان كانا في تقيوس فانهما ابقيا فيها دومنتيانوس وعدداً قليلاً من الجنود لحمايتها وارتحلا الى الاسكندرية بعد ان عهدا الى دارس رئيس القواد في صنود

---

(١) نسبة الى دلاص في مدينة بني سويف وقد ورد ذكر ابا فيرس في كتابين اطلعنا من خارجة ابن حذافة الى ابا فيرس نفسه والاخر من عبدالله بن جابر الى خريستوفورس وثيودور وراكوس ابنيه وهي مكتوبة بالعربية والبونانية ويظن انها اقدم كتابة عربية في الاسلام معروفة الآن

بالدفاع عن الوجه البحري . واشتدَّ الرعب في مدن مصر كلها ففرَّ السكان الى الاسكندرية تاركين وراءهم املاكهم واموالهم ومواشيهم

الفصل المئة والرابع عشر

وكان العرب يدخلون القرى ومعهم المصريون الذين تجحدوا النصرانية . . . . . فيسلبون اموال الفارين . وكانوا يأتون خدام المسيح اعداء الله

وترك عمرو قسماً من جيشه في حصن بابليون وسار في شرقي النيل الى الوجه البحري لقتال القائد ثيودورس فارسل ثيودورس يكبري وسفتري[1] الى مدينة سخنود لصد العرب عنها فلما وصلا اليها رفضت الجنود الوطنية التي فيها قتال العرب لكن القتال وقع بين الفريقين فقتل عدد كبير من العرب ومن معهم[2] . ورأى العرب انهم عاجزون عن فتح المدن التي في الوجه البحري بسبب الفيضان فكان ما حولها من الماء سدّاً منيعاً في وجوه خيولهم فتركوها وعادوا الى الريف فاقاموا الحصون على بوصير وغيرها من الاماكن التي فتحوها قبلاً

وفي تلك الايام ذهب ثيودورس الى كلاجي وتوسَّل اليه قائلاً « عد الينا عد الى صفوف الروم » . وخاف كلاجي ان يقتل الروم امهُ وامرأتهُ وكانتا مختبأتين في الاسكندرية فدفع الى ثيودورس مبلغاً كبيراً من المال فوعدهُ ثيودورس خيراً . وفرَّ كلاجي ليلاً والعرب غافلون وسار ماشياً هو ورجالهُ الى معسكر القائد ثيودورس ثم لحق بدومنتيانس في مدينة نقيوس لقتال العرب

وفرَّ بعد ذلك سابندس[3] من ايدي العرب ولحق بالقائد يوحنا في دمياط فوجههُ القائد بكتاب الى الاسكندرية . ولما مثل بين يدي الوالي اعترف بخطاياه وهو يذرف الدمع وقال لهُ « قد فعلت ما فعلت لما الحق بي القائد يوحنا من الاهانة فانهُ لطمني على وجهي ولم يحترم شيخوختي فلحقت بالعرب وقد كنت قبل هذا مخلصاً في خدمتي للروم »

الفصل المئة والخامس عشر

اما عمرو امير العرب فانهُ بقي يقاتل المسيحيين في الوجه البحري سنتين على غير طائل . وفي صيف السنة الخامسة عشرة من الدور القمري[4] زحف على سخا وطوخ ودمسيس[5] يريد

(١) هما قائدان لا يعرف عنهما شيء غير ما ذكرهُ المؤلف (٢) اي من الاقباط الذين اسلموا

(٣) لا يعلم من هو كلاجي ولا من هو سابندس وهل هما من القبط او الروم

(٤) مذكور في الحساب المسيحي وقد حقق الدكتور بطلر ان فتح حصن بابليون كان في السنة الخامسة عشرة من الدور يوم الاثنين ثاني الفتح في ٦ ابريل سنة ٦٤١ للميلاد

(٥) هي مدينة دمسيس . اما طوخ فهي على الراجح طوخ مزيد في الغربية

فتحها قبل الفيضان لكنهُ لم ينل منها شيئًا ثم أغار على دمياط فحرق زرعها فانهزم عنها وعاد الى حصن بابليون ومعهُ الاموال التي غنمها من الذين فروا الى الاسكندرية واحضر معهُ الحديد والاخشاب من بيوتهم التي خربها وابتنى بها جسرًا بين حصن بابليون ومدينة الروضة فلما شعر سكان المدينة بالخطر فروا منها ونجوا باموالهم فدخلها العرب واحرقوها ثم عاد اهلها اليها ليلاً واطفأوا النار

ولما رجع عمرو من الوجه البحري وانتقل برجوعهِ القتال الى الريف ارسل شرذمة من جنودهِ الى اتينوي[1]. وشعر العرب بضعف الروم وعداوة الناس للامبراطور هرقل بسبب مناهضتهِ المذهب الارثوذكسي بايعاز فيرس البطريرك الخلقيدوني[2] فتوبت عزيمتهم واشتدوا في قتالهم . اما سكان اتينوي فانهم تشاوروا هم وعاملهم يوحنا وعزموا على مقاومة العرب فخالفهم يوحنا في ذلك وخرج بجنودهِ مسرعًا من المدينة وحمل معهُ مال الخراج الذي كان قد جباهُ منها وارتحل الى الاسكندرية لانهُ علم ان لا طاقة لهُ بقتال العرب وخاف ان يصيبهُ ما اصاب حامية الفيوم . فسلَّم سكان هذه الكورة كلهم للعرب وادوا الجزية وقتلوا كل من لقوهُ من جنود الروم . وكان بعض هؤلاء الجنود في حصن لخاصرهم فيهِ العرب واستولوا على آلاتهم فهدموا بها الحصن واخرجوهم منهُ

الفصل الثلثة والسادس عشر

واغتم هرقل كثيرًا لموت يوحنا قائد الجنود الوطنية ويوحنا القائد الآخر اللذين قتلهما العرب ولانهزام الروم في مصر فنزل بهِ قضاء الله الذي يختطف الرؤساء والقواد ورجال الحرب والملوك فاصابهُ التهاب وتوفي في السنة الحادية والثلاثين من ملكهِ في شهر اشير وهو شهر فبراير الرومي في السنة الرابعة عشرة من الدور القمري والسنة ٣٥٧ للشهداء[3]. وقيل يومئذٍ انهُ مات لانهُ ضرب نقودًا عليها صورة القياصرة الثلاثة هو وابنيهِ احدهما عن يمينهِ والآخر عن يسارهِ فلم يبقَ مكان لكتابة اسم المملكة الرومية وقد أُبيدت هذه النقود بعد موتهِ

ولما توفي هرقل نادى بيزوس بطريرك القسطنطينية بقسطنطين ابن الامبراطورة افدوقيا ملكًا بعد ابيهِ فحرم بذلك مارتينا[4] ابنة اخت الامبراطور واولادها فقبض داود ومارينوس

---

(١) يريد بالريف صعيد مصر . اتينوي في انصنا شرقي النيل امام الاشمونين حيث بلد طاي

(٢) هو المذكور انظر صفحة ٣٣١ من مقتطف سنة ١٩٠٣ (٣) كانت وفاته في ١١ فبراير سنة ٦٤١ للميلاد (٤) كان هرقل قد اوصى بالملك من بعدهِ لابنهِ قسطنطين من امراتهِ افدوقيا وقد كان متزوجًا ايضًا بمارتينا ابنة اخيهِ ولهُ منها ابنٌ احدهم هرقل الاصغر

على بيروس بطريرك الروم الخلقيدوني ونفوه الى جزيرة في غربي افريقية ولم يعلم احد ان ذلك تمة احدى النبوات فان كلام القديسين لا يضيع فقد كتب سويرس الاكبر البطريرك الانطاكي مرة الى الامبرة قيصرية انهُ لا يجلس ابن لاحد قياصرة الروم على عرش ابيهِ ما زال المذهب الخلقيدوني شائعاً بين الناس

ولما جلس قسطنطين بن هرقل جمع مفناً كثيرة عهد بها الى كيروس وسلاكريوس وارسلها لتأتي بالبطريرك قيرس[1] وامر ثيودورس ان يحضر اليهِ و يبقي انستاسيوس للدفاع عن الاسكندرية وغيرها من مدن الساحل . وحدث بعد ذلك انهُ ما كانت السفن تستعد للسفر مرض قسطنطين مرضاً شديداً وتقيأ دماً ومات وكانت مدة ملكهِ مئة يوم . وسخر الناس بالامبراطور هرقل وبابنهِ قسطنطين

واجتمع الفيتانيون[2] في كنيسهم في قرية دفاشير قرب جسر القديس بطرس الرسول يتآمرون على البطريرك قيرس لانهُ في زمن الاضطهاد سلب كنوزاً كثيرة من كنائسهم بغير مسوغ شرعي فعلم اندوقيانوس اخو العامل دومتيانوس باجتماعهم واتفذ بعض الجنود وامرهم ان يرشقوا المتآمرين بالنبال و يمنعوهم من تنفيذ مآربهم . ومات بعض المجتمعين لشدة الضرب وقطعت ايدي البعض الآخر بغير محاكمة ونادى المنادي في المدينة ليذهب كل واحد الى كنيستهِ ولا يعتدي احد على غيرهِ . لكن الله العادل لم يخلِّ عن الناس فانتقم للمظلومين ولم يعفُ عن اولئك الذين اضطهدوهُ بل سلمهم الى العرب فاغاروا على مصر وافتتحوها . ولما عاد البطريرك قيرس بعد موت هرقل بالغ في الشدة على قطعان الرب عوضاً عن ان يخفف من اضطهادهِ

الفصل المئة والسابع عشر

ونصب عمرو امير الجيش العربي فسطاطهُ امام حصن بابليون وحاصر الجنود التي فيهِ ثم اخذ هؤلاء عليهِ عهداً ان يؤمنهم على حياتهم وتعهدوا هم ان يتركوا لهُ عدة الحرب وكانت كثيرة فاذن لهم بالخروج من الحصن فحملوا معهم قليلاً من الذهب وارتحلوا وكان فتح الحصن على هذه الصورة في اليوم التالي لعيد الصعود . وهكذا عاقب الله هؤلاء الناس الذين لم يحترموا آلام النداء التي تألمها ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي وهب حياتهُ للذين يؤمنون بهِ

(١) قيرس كما قلنا هو المقوقس وكان هرقل قد غضب عليهِ وقتلهُ ثم اوصى ابنهُ قبل موتهِ ان يعيدهُ الى مصر فعمل قسطنطين بوصية ابيهِ (٢) هم فرقة من الاقباط

فجعلهم ينهزمون امام اعدائهم . ولما أُطلق سبيل المسجونين الارثوذكسيين[1] في يوم عيد القيامة المقدّس لم يخلِ اعداء المسيح (اي الروم) سبيلهم دون ان يسيئوا اليهم فجلدوهم وقطعوا ايديهم فكان هؤلاء المساكين ينوحون ودموعهم تسيل على وجوههم ثم طُردوا مهانين . لقد كتب عن هؤلاء الاشرار انهم دنسوا الكنيسة بايمانهم الفاسد وارتكبوا معاصي الاريوسيين وتعدياتهم تلك التي لم يرتكبها الوثنيون ولا المتوحشون فانهم استهانوا بالمسيح وخدامه . ولم نسمع بمثل هؤلاء الاشرار حتى بين عبدة الآلهة الكاذبة . . . . . .

الفصل المئة والثامن عشر

واغنمَ الروم كثيراً لاستيلاء العرب على بابليون ومدينة نقيوس . ودخل عمرو بعد انتهاء القتال الى حصن بابليون ثم جمع كثيراً من السفن كبيرها وصغيرها وجعلها قرب الحصن واقام فيه

وسار عمرو بجيش العرب برًّا الى مدينة قيرياس ايذيا لقتال القائد دومنتيانوس فلما علم القائد بقدومه ترك الجيش والاسطول وركب سفينة وسار في الخليج الصغير الذي فتحهُ هرقل فوجدهُ مقفلاً فسار الى الاسكندرية . ولما رأى الجنود ان قائدهم فرَّ رموا اسلحتهم والقوا بانفسهم في الماء امام العدوّ فلحق العرب بهم وقتلوهم في الماء ولم ينجُ منهم الاَّ رجل واحد اسمهُ زخريا فاتل قتال الابطال . ورأى الملاَّحون ان الجنود قد انهزمت فهربوا هم ايضاً وعاد كل منهم الى بلادهِ . ثم سار العرب الى نقيوس واستولوا عليها بغير قتال فانهم لم يجدوا فيها جندياً واحداً يقف في سبيلهم . وذبحوا كل من لقوهُ في الازقة والكنائس من الرجال والنساء والاطفال ولم يستبقوا احداً . ثم توجهوا الى اماكن اخرى ونهبوها وقتلوا كل من وجدوهُ فيها . ولقوا في مدينة صونا اسقوطاوس وجماعتهُ انساء القائد تيودورس محتشين في كرم فقتلوهم . لكن الصمت اولى اذ لا يمكن وصف الفظائع التي ارتكبها العرب في فتح نقيوس يوم الاحد في الثامن عشر من شهر جنبوت في السنة الخامسة عشرة من الدور القمري ومثلها الامور الهائلة التي حدثت في قيصرية فلسطين (ستأتي البقية)

---

(١) يريد المؤلف بالارثوذكسيين الاقباط الثابتين للكنيسة القبطية وكان الروم يسومونهم بعاقبة ونوي الطبيعة الواحدة اما الخلقيدونيون فهم الروم الارثوذكس التابعون لجميع المتملكين و يقال لهم الملكيون ايضاً لانهم كانوا على عقيدة الملك وكان القبط يكرمونهم جدًّا لكثرة ما اضطهدوهم في تلك الايام